

الحلقة (٩)

موضوع الحلقة تفسير الآيتين (١٠٥ و ١٠٦) من سورة البقرة

يقول الله تبارك وتعالى {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}

في هذه الآية الكريمة يبين جل وعلا شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركون لأهل الإيمان للمؤمنين وقد حذرنا تبارك وتعالى من مشابهتهم لتقطع المحبة بيننا وبينهم إلا محبة دعوتهم إلى الخير وبيان محاسن الإسلام وتعاليمه لهم فهذا أمر مطلوب يقول تبارك وتعالى {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا} قوله ما يود أي ما يتمنى أي هم لا يتمنون ولا يودون {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} قال ابن عباس رضي الله عنهما أهل الكتاب هم يهود المدينة ونصارى نجران ولاشك أن الآية عامة.

قوله تبارك وتعالى {وَلَا الْمُشْرِكِينَ} أي: مشركي مكة وهو معطوف على "أهل" {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} ويجوز أن يكون عطفا على "الذين" يعني في قوله {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ} يعني إما أن تكون عطفا على أهل الكتاب وإما أن يكون عطفا على الذين، وهذا هو رأي النحاس، قوله تبارك وتعالى {أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ} بعض المفسرين يقول أن {من} في {مِنْ خَيْرٍ} زائدة وهذا كلام لا يصح ولا يجوز في كلام الله جل وعلا أن يقال أن "الباء" أو "من" أو بعض حروف الجر إنها زائدة، ولكن يقال صلة يقال تقوي المعنى، لكن أن يعبر بالزيادة هذا كلام لا يجوز ولا يصدر من مؤمن بالله تبارك وتعالى وبكتابه، وهو اسم لمن لم يسم فاعله ويقال أيضا هو نائب فاعل، فمن النحويين من يقول نائب فاعل ومنهم من يقول ما لم يسم فاعله لأن ينزل فعل مبني للمجهول والمراد بالخير هنا هو النبوة والإسلام.

وأن أهل الكتاب والكفار لا يودون لنا الخير ومصدر الخير لنا هو طريق الأنبياء والرسل، وأكرمهم وأفضلهم نبينا صلى الله عليه وسلم الخاتم للأنبياء قبله، وهناك قول آخر أن المراد بالخير العلم والفقه والحكمة، فهم يحسدوننا على ما عندنا من الخير من علم وفقه وحكمة بهذا الدين.

ثم قال تبارك وتعالى {وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} هذا فضل الله تبارك وتعالى أنه يختص بعباده من يشاء بفضله ورحمته وإحسانه وقد اختلف المفسرون رحمهم الله في المراد **"بالرحمة"** هنا:

• **القول الأول** فروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال (يختص برحمته أي بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم)

• **القول الثاني** قال ابن عباس رضي الله عنهما (أي الإسلام) المراد بالرحمة هنا الإسلام.

• **القول الثالث**: قال قوم الرحمة هي القرآن.

• **القول الرابع:** أن الرحمة عامة لجميع أنواعها التي منحها الله عباده قديما وحديثا. وهذا هو الصحيح أن الرحمة عامة وما ذكر من الأقوال السابقة هو تفسير بالمثال، تفسير بالنوع، وذلك أقوالهم ليس بينها تضاد وإنما هذا اختلاف تنوع.

{وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} ختمت هذه الآية بأن الله جل وعلا ذو (بمعنى صاحب) الفضل وصاحب الإحسان على عباده كما قال جل وعلا (وما بكم من نعمة فمن الله) فالله جل وعلا هو المتفضل المحسن على عباده نسأل الله جل وعلا أن يكرمنا بفضله.

الآية التي بعدها (١٠٦) من سورة البقرة

هي قوله تعالى {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

◀ سبب نزول هذه الآية

وهي آية عظيمة والمفسرون لهم كلام كثير حول هذه الآية لكن نوجز الكلام فيما يرتبط بها بنقاط ومسائل ستأتي إن شاء الله تعالى :

١. أن يهود قالت لما نسخت القبلة، عندما كانت القبلة إلى بيت المقدس ثم حولت بأمر الله تبارك وتعالى في قوله تعالى {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} حولت بعد ذلك إلى الكعبة المشرفة، فاليهود لما حولت القبلة قالوا إن محمدا يحل لأصحابه إذا شاء ويحرم عليهم إذا شاء فنزلت الآية، قالوا إن محمدا إذا أراد شيئا قال مرة هنا، وإذا أراد أن يحرم قال هكذا، فكأن الدين تلاعب وكأن الدين هو الذي يغير فيه ويبدل حاشاه عليه الصلاة والسلام، {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}.

٢. وهناك رواية أخرى توضح هذا، وهو أن اليهود لما حسدوا المسلمين في التوجه إلى الكعبة وطعنوا في الإسلام بذلك، وقالوا إن محمدا يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه، فما كان هذا القرآن إلا من جهته، قالوا إن هذا القرآن ليس من الله ولكنه من محمد صلى الله عليه وسلم، ويناقض بعضه بعضا، فأنزل الله الآية.

❖ مفردات هذه الآية والمسائل المرتبطة بها

قوله تعالى {مَا نَنْسَخْ} قال الزجاج: النسخ في اللغة: إبطال شيء وإقامة آخر مقامه، وأيضا له معاني كثيرة ستأتي إن شاء الله، تقول العرب نسخت الشمس الظل إذا أذهبته وحلت محله.

وفي المراد بالنسخ ثلاثة أقوال:

- القول الأول: أنه رفع اللفظ والحكم، أن تنسخ الآية لفظا وحكما.
- القول الثاني: أنه تبديل الآية بغيرها، روي هذا والذي قبله عن ابن عباس رضي الله عنهما.

• القول الثالث: رفع الحکم مع بقاء اللفظ، يعني أن الآية تتلى في كتاب الله عز وجل ولكنها منسوخة، رواه مجاهد عن أصحاب ابن مسعود.

قوله تبارك وتعالى {مَا نُنَسِّخْ} فيها قراءتان:

القراءة الأولى: قرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين {مَا نُنَسِّخْ} قال أبو علي الفارسي في كتابه (الحجة في القراءات السبع) وهنا أحب أن أقول فائدة مهمة لطالب العلم يجب أن يعرف طالب العلم كتب القراءات السبع التي توثق منها القراءة وهي كثيرة من أشهرها:

○ **أولاً:** ((كتاب السبعة)) لابن مجاهد لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد.

○ **ثانياً:** ((التبصرة في القراءات السبع)) لمكي بن أبي طالب القيسي.

○ **ثالثاً:** في العشر هناك كتاب ((النشر في القراءات العشر)) لأبن الجزلي.

○ **رابعاً:** هناك ما هو أوسع في القراءات الأربعة عشر ((تحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر)).

○ **خامساً:** هناك كتب لتوجيه القراءات من ناحية الإعراب وكذا هناك كتاب ((الكشف عن وجوه القراءات السبع)) لمكي بن أبي طالب القيسي.

○ **سادساً:** كتاب ((الحجة في القراءات السبع)) لأبي علي الفارسي.

○ **سابعاً:** ((حجة القراءات)) لابن زنجلة، وأيضاً كتب التفسير عموماً تعنى بتوجيه القراءات ما بين مقل ومكثر.

المهم هذه القراءة وهي قراءة ابن عامر {مَا نُنَسِّخْ} **القراءة الثانية:** قرأ الباقر بالفتح {مَا نُنَسِّخْ} وهما قراءتان سبعيتان ثابتتان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله تبارك وتعالى {أَوْ نُنَسِّهَا} فيها قراءتان: **القراءة الأولى:** قرأ ابن كثير وأبو عمرو {نُنَسَّهَا} أي نؤخرها، قال أبو زيد تقول العرب: نسأت الإبل عن الحوض، فأنا أنسؤها، إذا أخرتها، ومنه النسيئة في البيع.

وفي معنى هذه القراءة ثلاثة أقوال:

• **القول الأول:** أي نؤخرها عن النسخ فلا ننسخها وقد ذكره الفراء.

• **القول الثاني:** أي نؤخر إنزالها فلا ننزلها البتة، وقد ذكر هذا أبو علي الفارسي

• **القول الثالث:** أي نؤخرها عن العمل بها بنسخنا إياها، وقد ذكر هذا أبو علي الفارسي.

• **وقرأ الباقر {أَوْ نُنَسِّهَا} بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة، المعنى نُنَسِّهَا أي من النسيان.**

قال تبارك وتعالى {تَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا} أي بالين منها وأيسر، كما سيأتي بأنواع النسخ أنه قد يكون من الأثقل إلى الأخف، أي بالين منها وأيسر على الناس قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

قوله تعالى {أَوْ مِثْلَهَا} أي في الثواب والمنفعة وتكون الحكمة للابتلاء والاختبار وهذا نوع من أنواع

النسخ أن ينسخ إلى مثل، يعني إلى بدل ليس إلى أخف ولا إلى أثقل بل إلى مثله. هنا مسائل أحب أن أذكرها في باب النسخ وعلم الناسخ والمنسوخ، من العلوم المهمة في علوم القرآن الكريم فيه مؤلفات مستقلة وهو يدرج ضمن علوم القرآن الكريم "الناسخ والمنسوخ" للنحاس "نواسخ القرآن" لابن الجوزي وكتب كثيرة، وأيضا هو يوجد كعلم من علوم القرآن الكريم فالعلماء يقولون النسخ من العلوم المهمة لا يستغني عن معرفته العلماء لما يترتب عليه من النوازل في الأحكام ومعرفة الحلال والحرام، ويذكر العلماء أن علياً رضي الله عنه دخل المسجد يوماً فرأى رجلاً يقص، فسأله وقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلك، وأمر به أن يخرج من المسجد، فكيف يفتي للناس ويعلمهم وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ، قال: هلكت وأهلك ثم أمر به فأخرج من المسجد، وروي هذا أيضاً عن ابن عباس.

← مسألة أخرى العلماء يقولون النسخ في كلام العرب على وجهين:

المعنى الأول: إما نقل يعني يكون بمعنى النقل، كنقل كتاب من آخر، وعلى هذا يكون القرآن كله منسوخاً، أي من اللوح المحفوظ وإنزاله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وهذا لا مدخل له في الآية، ومنه قوله تبارك وتعالى {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} أي نأمر بنسخه وإثباته، يعني القرآن كله منسوخ على هذا، وهو إنزاله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة، وهذا مذكور في علم نزول القرآن الكريم.

المعنى الثاني: بمعنى الإبطال والإزالة وهو المقصود هنا في هذه الآية، يعني ليس إبطال الكلام، بل تحويله من شيء إلى شيء.

وهم يقولون أيضاً أن هذا النوع ينقسم إلى قسمين:

- **القسم الأول:** زوال الشيء وإقامة آخر مقامه، أن يزال حكم ويؤتى بحكم آخر، وهذا أيضاً له أصل في اللغة، ومنه ما ذكرت آنفاً، قول العرب نسخت الشمس الظل إذا أذهبته وحلت محله، وهو معنى قوله تعالى {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا}
- قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: النسخ نسخ الكتاب، والنسخ أن تزيل أمراً كان من قبل يعمل به ثم تنسخه بآخر، كآلية تنزل بأمر ثم تنسخ بآخرى.
- **القسم الثاني:** إزالة الشيء دون أن يقوم آخر مقامه، كقولهم نسخت الريح الأثر، ومن هذا المعنى قوله تبارك وتعالى {فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} أي: يزيله فلا يتلى ولا يثبت في المصحف بدلاً، يعني ينسخ الشيء فلا يبقى مثل أن تأتي الريح كما هو أصل في اللغة تزيل الأثر، إذا أزالته فلا يبقى شيء بعده.

← هنا مسألة أخرى وهي: من الناس من أنكروا النسخ وهم طوائف من المتكلمين ومنهم المعتزلة، وقالوا: إنه لا يجوز ولا يقع في هذه الشريعة، وهم محجوجون بالأدلة بوقوعه بالكتاب والسنة وكلام

السلف رحمهم الله، أيضا اليهود يزعمون أنه لا نسخ وأنه لا يقع النسخ ولهم في ذلك حجج وشبه باطلة بينها أهل العلم، ولله جل وعلا الحكمة والأمر من قبل ومن بعد، فالنسخ فيه حكم ومصالح وأيضا النسخ عندهم وجد في التوراة أن عندهم نسخ فهذا بلا شك تناقض وتعارض منهم.

« هنا مسألة اختلف العلماء في الأخبار هل يدخلها النسخ ؟ أم لا ؟ الجمهور على أن النسخ إنما هو مختص بالأوامر والنواهي أما الخبر فلا يدخل النسخ، الخبر هو القصص أو الحديث عن شيء معين هذا لا يدخل فيه النسخ، وإنما هو في الأوامر والنواهي، أما الأخبار فلا نسخ فيها، ولكن قد يتجاوز في بعض الأمور أو إذا تضمن حكما شرعيا جاز نسخه، ويضربوا لهذا مثلا إذا صح مثل هذا في قول الله تبارك وتعالى {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} فيقول العلماء: إن هذه أول آية كانت بالخمير، أن الله جل وعلا امتن على عباده أنه من الثمرات يأكلون ويشربون ويتخذون منها سكرًا، يعني السكر، ثم بعد ذلك جاءت الآية في سورة البقرة {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} هذه المرحلة الثانية، ثم الثالثة جاءت في سورة النساء {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ}، ثم المرحلة الرابعة التحريم النهائي {فَاجْتَنِبُوا لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ}

من يرى أن تحريم الخمر مرت بأربعة مراحل يدرج هذا الأمر في الآية {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} هذا رأي، والصحيح: أن النسخ لا يكون إلا في الأوامر والنواهي، أما الأخبار فليس فيها نسخ، إلا إذا تضمنت حكما شرعيا فيمكن أن يقال هذا ويستدل بهذه الآية في سورة النحل.

« هنا مسألة وهو أن طالب العلم يقرأ دائما في كلام السلف التخصيص، ويطلق عليه السلف هنا نسخا، ولكن المراد به هنا "التخصيص" ومعروف عندنا في أصول الفقه وأيضا في علوم القرآن الخاص والعام والمطلق والمقيد.

جملة من سلفنا رحمهم الله كانوا يطلقون على التخصيص نسخا، وفي الحقيقة إذا محصنا النظر وتأملنا كثيرا لا نجد أن هناك النسخ بمعنى النسخ الاصطلاحي وإنما هو التخصيص، فيجب أن يعرف طالب العلم المصطلحات والمراد بها، لأنها مهمة في حياته العلمية وحياته العملية أيضا، فسلفنا رحمهم الله كانوا يطلقون على التخصيص نسخا وفي الحقيقة أنه تخصيص وليس نسخا.

❖ أحوال وأنواع النسخ:

١، أن هناك نسخ الأثقل إلى الأخف، ويضربون لهذا مثلا من القرآن بنسخ ثبوت العشرة لاثنين، يعني أن الإنسان يثبت أمام عشرة كما جاء في سورة الأنفال ثم نسخ أنه يثبت الشخص لاثنين، قديما كان صعبا كيف يثبت الإنسان أمام عشرة، خفف إلى أن يثبت شخص أمام اثنين.

٢، نسخ الأخف إلى الأثقل، النبي صلى الله عليه وسلم رأى اليهود يصومون عاشوراء فسألهم، فقالوا

هذا يوم نجى الله فيه موسى بن عمران من فرعون فنحن نصومه شكرا لله، فقال عليه الصلاة والسلام: (نحن أحق بموسى منكم) فصامه وأمر الناس بصيامه، فأخذ العلماء أن صيام يوم عاشوراء كان مأمورا به أول الإسلام ثم نسخ بصيام رمضان، وصيام رمضان لاشك أنه أطول وفيه جهد ومشقه أكثر.

٣، قد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة مثل النسخ من التوجه إلى بيت المقدس إلى الكعبة.

٤، قد ينسخ الشيء إلى لا شيء، ولا يعطى الناس حكما بعده، أي ينسخ إلى غير بدل، كما يقول العلماء مثل نسخ صدقة النجوى في أول الإسلام كان أحدهم لا يستطيع أن يناجي الرسول صلى الله عليه وسلم ويتكلم معه حتى يقدم صدقه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَأَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ تَجَوَّازَكُمْ صَدَقَةً} بعد ذلك نسخت، فكان الصحابة يتناجون مع الرسول صلى الله عليه وسلم دون أن يقدموا صدقة.

٥، قد تنسخ التلاوة دون الحكم كآية الرجم.

٦، قد تنسخ التلاوة والحكم معا ومنه قول الصديق رضي الله عنه كنا نقرأ [لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر] والأمثلة كثيرة.

العلماء قالوا كيف أعرف الناسخ وكيف نتوصل إلى معرفة النسخ؟

(١) قالوا منها أن يكون في اللفظ ما يدل عليه، مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها) إذن هذا نسخ وكان قبل نهي والآن، أمرنا بزيارة المقابر فإنها تذكركم الآخرة والله المستعان.

(٢) أن يذكر الراوي التاريخ يذكر مثلا أن هذا في السنة الثالثة للهجرة ثم جاء في السنة الخامسة، من الهجرة أو السابعة من الهجرة هذا اتضح والله الحمد.

(٣) (أن تجمع الأمة) (والأمة لا تجتمع على ضلالة) تجمع على أن هذه الآية نسخت بآية أخرى أو هذا الحديث نسخ بمحدث آخر والله لك الحمد.

والعلماء في كتب الناسخ والمنسوخ وفي كتب علوم القرآن توسعوا في هذا كثيرا، أختتم هذه الحلقة بختام الآية وهو قوله تبارك وتعالى {ثَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا} المقصود هنا بلفظة خير التفضيل يعني يأتي الله جل علا بأفعل لكم أيها الناس إن عاجلا، بحيث أن يكون النسخ إلى أخف، وفي الآجل إذا كان النسخ إلى أثقل، أو كانت متساوية، بخير منها: إذا كان إلى أخف فهذا حصلوه في الدنيا ويحتسبون الأجر عند الله، وإن كان إلى أثقل فهم يحتسبون الأجر عند الله في الآخرة وأيضا في الدنيا وما يعملونه، أو مثلها، فالحمد لله، فهذا يكون الأمر متساوي والأمر لله سبحانه وتعالى من قبل ومن بعد.

وهناك رأي آخر يقول: أن "خير" ليست للتفضيل لأن كلام الله جل وعلا لا يتفاضل وإنما هو مثل

قوله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله خير منها، وفي ختام الآية يقول جل وعلا {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فالأمر لله من قبل ومن بعد شرع هذا وشرع هذا وهو اللطيف بعباده الرحيم بهم.